صفحات دامية من مأساة
تركستان الشرقية

بقلم: أحمد إكمبردي، ترجمة: محمد قاسم أمين

من الذي يعرف شيئًا عن تركستان الشرقية؟ هل قرأت الأمـة الإسـلامية كلمـة مـن الصفحات الدامية التي يعيشها هذا الشعب منذ ما يقرب من نصف قرن؟ إنه شـعب مـسلم مهدد بالفناء، وثمة خطة شيطانية قد وُضعت من أجل مسخ شخـصيته، وإنهـاء وجـوده، والقضاء على تاريخه ودينه. والأخطر من هذا أن (التنين الأصفر) المسمى بالصين والـذي يحتل هذا البلد المسلم، قد وضع سياسة يقوم على تنفيذها بكل ما يملك من قـوة وشراسـة، وهي سياسة تستهدف (تصيين) تركستان لكي تنتهي شخصيتها تمامًا ويذوب وجودها الحـي في ثنايا ذلك الجسد الخرافي الرهيب. ولكن هل تستطيع سياسة مهما كانت أن تلغي شـعبًا من الوجود؟ إن المؤامرة تامة وشاملة، وما يحدث من هذا الشعب لم يحدث مثله مع شـعب آخر في التاريخ القديم أو الحديث4، والمأساة هنا، أن الأمة الإسلامية تجهل أو تكاد أبعـاد هذه الملحمة الدامية التي يجب أن تصبح أحد قضايا العصر لأنها قضية الحرية والعـدل إن لم تكن قضية الحياة والوجود ذاته.

فما أبعاد هذه القضية؟ وكيف كتب التركستانيون صفحات جهادهم بالدم؟ ومـا حجـم المؤامرة التي تنفذها ضدهم الصين الشيوعية؟ وهل من سبيل إلى حل هذه المأساة؟

لقد عاش التركستانيون في الداخل والخارج متشتتين مبعثرين في أرجـاء الأرض منـذ أواخر القرن الماضي بفعل المؤامرة التي اشتركت فيها روسيا القيصرية، وحاكمية الـصين في عهد (مانجو). فقد قام البلدان معًا باقتسام تركستان فيما بينهما. وبرغم بشاعة المـؤامرة وتشتت هذا الشعب الأبي في أرجاء الأرض فإن فردًا واحدًا منا لم ينس ولن ينـسى وطنـه وأمته في محنته التي يعيش فيها محرومًا من أبسط حقوق الإنسان.

واليوم وبعد أن سقط الاتحاد السوفيتي فقد تحرر إخوتنـا فـي الجمهوريـات الخمـس الإسلامية في آسيا الوسطى بينما بقيت تركستان الشرقية تحت نير الاسـتبداد فـي الـصين الشيوعية.

تبعد تركستان عن مهد الأمة الإسلامية في الجزيرة العربية بـأكثر مـن عـشرة آلاف كيلومتر إلى الشرق. وشعبها يدين بالإسلام منذ العهد القديم ومهدهم الذهبي. وقـد اسـتولت روسيا القيصرية على جزئها الغربي سنة 1856م وهو الذي يُعرف الآن بتركستان الغربية. وفي عام 1920م بعد ثورة أكتوبر في روسيا وقيام الاتحاد السوفيتي تم تقسيم هـذا الجـزء إلى خمس جمهوريات عرقية عرفت باسـم قازاقـستان، وقيزغيزسـتان، وتركمنـستان، وطاجيكستان، وأوزبكستان، وهي التي تُعرف الآن باسم جمهوريات آسيا الوسـطى. وقـد استقلت هذه الجمهوريات الخمس في عام 1990م بعد تفكك الاتحاد الـسوفيتي وانهيـاره .. ولا شك أن قيام هذه الجمهوريات -وهم أخوة لنا في الدين والعرق والدم- يدعم من قضيتنا ويبلور وجودنا فلله الحمد والمنة.

(سنكيانج) بدل تركستان

أما تركستان الشرقية التي احتلتها الصين في عهد (مانجو) عام 1876م فقد بقيت منـذ ذلك الوقت ترزح تحت نير الاحتلال، وعمدت الصين إلى تغيير اسمها فأطلقت عليها اسـم (شينجانك) أو (سنكيانج) أي الأرض الجديدة. وبعد حركة ماوتسي تونج عام 1949م أطلق عليها اسم آخر وهو (شينجانك أويغور أبتونومي رايون) أي سنكيانج الأويغورية المتمتعـة بالحكم الذاتي.

تبلغ مساحة تركستان الشرقية مليوني كيلومتر مربع، وعـدد سـكانها الأصـليين مـن الأويغور يزيدون على عشرين مليون نسمة يدينون جميعًا بالإسلام. وقـد اشـتهرت هـذه الأرض بخيراتها الدفينة والظاهرة وبتاريخها المجيد وبموقعها الاستراتيجي المهـم، فهـي محور أغلب شعوب آسيا ودولها إذ تحيط بها من جهاتها الأربـع أكثـر مـن ثمـاني دول آسيوية، وكان موقعها هذا جديرًا بأن يسفها الجغرافيون بأنها مفتاح آسيا.

وحتى عام 1949م كان الشعب التركستاني المسلم يعيش سيد نفسه على أرضه ودياره. وكان تعداده في ذلك الوقت يناهز العشرة ملايين نسمة، وكان الصينيون قلـة قليلـة. فقـد نشرت جريدة (شنجانك) الحكومية الرسمية أن نسمة الصينيين في المنطقة لا تزيد على 4% من مجموع السكان، ولكن الجريدة نفسها عادت بعد أربعة عقود ونشرت عـام 1985م أن عدد الصينيين في المنطقة يزيد الآن على 48% من عدد السكان. وهذا هـو أحـد أوجـه المحنة التي يعيشها هذا الشعب.

إن تركستان الشرقية تعيش الآن في ظل الأسر الصيني الشيوعي المقيم برغم أن إخوتنا في الجمهوريات الخمس في آسيا الوسطى قد حصلوا على استقلالهم. وفي ظل هذا الأسـر البغيض تمارس الصين أبشع أساليب الظلم والاستبداد والسلب والنهب وهتـك الأعـراض والإجهاز على القيم والاعتداء على المقدسات. إن الصين طامعـة ولا شـك فـي خيـرات تركستان الوفيرة التي جلبت على أهلها الويل والثبور، ولكن هذا الطمع تحول بعد ذلك إلـى محاولة لسحق هذا الشعب تحت وطأة الفقر والجهل والمرض والحرمان: ثم تطـورت إلـى خطة جهنمية تستهدف إلغاء وجود الوطن والشعب معًا بتحقيق مـا يُـسمى بـ ـ(تـصيين) تركستان ونسخ شخصيتها وتاريخها وقوميتها ودينها، وخطتها في ذلك التلويح بمـا يُـسمى بالحكم الذاتي لسنكيانغ الأويغورية والذي لا يزيد في الحقيقة عن كون مجرد هـراء يخفـي أطماع الصين في تذويب الشعب التركستان المسلم في الجسد الصيني.

ولكن هذه المؤامرة التي تهدد السلام العالمي لم يسمح بها شعب تركستان الشرقية ونحن عازمون -إن شاء الله- على الجهاد من أجل الحرية والاستقلال. وسنمـضي علـى هـذا الطريق بصرف النظر عما إذا كنا سننتهي إلى الحياة أو الموت.

سوف نقدم هنا مجرد نماذج من هذه الخطة الآثمة التي يجب أن يـتم الكـشف عنهـا ووضعها أمام الضمير العالمي

سياسة التصيين

أعلنت حكومة الصين الشيوعية عام 1983م وبشكل سار أنه يجب جلب أكثر من مائتي مليون صيني وتوطينهم في منطقة (شنجيانك) أي تركستان الشرقية. وحجتها فـي ذلـك أن مساحة المنطقة تصل إلى سدس مساحة الصين كلها، وربما أن تعداد سكان الـصين يـصل إلى ألف ومائتي مليون نسمة فيجب أن يشغل سدس هذا العدد أي 200 مليون شخص -هذه المساحة. وبالفعل فإن الصين أخذت في تنفيذ هذه السياسة، حيث يصل الآن أكثر من سـبعة آلاف مهاجر صيني كل يوم إلى المنطقة، التي أخذت تزدحم بأعداد غفيرة من غير سـكانها الأصليين الذين كانوا يعيشون على هذه الأرض بمعدل عشرة أشخاص للكيلومتر المربـع. وهذه السياسة ليس هدفها فقط تغيير الخارطة البشرية لتركستان الـشرقية، بـل إن هـدفها الحقيقي هو محو وجود الشعب المسلم وتجريده من هويته القومية والعرقية فضلًا عن دينـه وعقيدته.

تتبع الصين في تركستان الشرقية سياسة لتحديد النسل لا وجود لها في العـالم. وهـذه السياسة تختلف حتى عما هو موجود في الصين نفسها. وتستهدف هذه السياسة تجميد عـدد سكان تركستان، إن لم يكن العودة بعددهم إلى الوراء. وهم يسمون هذه الـسياسة بـسياسة الولد الواحد، حيث يقومون بتعقيم النساء إجباريا وحقن الرجال بالأدويـة، وتـدور اللجـان المتخصصة لتنفيذ هذا الأمر على البيوت بيتًا بيتًا بل أسرة أسرة. وبدأت منذ شهر سـبتمبر 1992م في وضع لوحات كبيرة على البيوت تحدد لكل أسرة مـا إذا كـان مـسموحًا لهـا بإنجاب طفل واحد، أو أنها محرومة من الإنجاب أصلًا. وثم إجراءات صارمة تُتخذ حيـال الأسر التي تخالف هذه التعليمات، فقد تُحرم الأسرة كلها من الحقوق المدينة ويُطرد أفرادها من الوظائف العامة، ولا يحظى المولود بالهوية أو الرعاية الطبية، كما تُفرض غرامة مالية على الأسرة تصل إلى أربعة آلاف (ين)، وهي غرامة باهظة إذا علمنا أن مرتب الموظـف الحكومي لا يزيد على مائة وخمسين (ينًا) في الشهر. وتلجأ الحكومة في حالات كثيرة إلـى بقر بطون الحوامل وإجهاضهن أيا كانت شهور حملهن، وهنا تُسحب المـرأة مـن وسـط أسرتها ويُستخرج منها الجنين حيث يُلقى في صفائح القمامة، ويُستخرج (الخلاص) لتصنيعه واستغلاله في صنع عقاقير وأدوية أو حتى في أكله، حيث اعتاد الصينيون أكل كل شـيء. ويتم توزيع أطعمة ومعلبات وأنواع من البسكويت والشيكولاته المجهـزة بمـواد كيميائيـة تصيب الأجنة بالتسمم. وقد ماتت ألوف النساء بسبب هذه الأدوية وبسبب إجهاضهن قسرًا.

وأمام الخوف الذي يعتري الأمهات فقد لجأت بعض الأسر والـسيدات الحوامـل إلـى الاتفاق مع أسر من التي لا تنجب بأن تتبنى المولود مقابل مبلغ من المال، ويتم هذا الأمـر في سرية تامة، كما لجأت أسر أخرى إلى تهريب أطفالهن داخل أكياس الخيش وصـناديق الخشب إلى الدول المجاورة، وأقربها قازاقستان وقيرغيزستان.

حقل تجارب ذري

بدأت الصين أولى تجاربها النووية عام 1964م في أراضي تركـستان الـشرقية فـي منطقة (لوب نور). وكان هدفها أن تنضم إلى النادي الذري وتفرض نفسها علـى المجتمـع الدولي لتحظى بعضوية مجلس الأمن التي حصلت عليها بالفعل عام 1971م، ثـم إخـضاع بقية شعوب آسيا، وتهديد جارتيها الكبيرتين الهند وباكستان. ولكن كان هدفها الخفـي هـو ترويع شعب تركستان المسلم وتعريضه لخطر الإشعاعات الذرية المهلكة. وقـد اسـتمرت

الصين في تنفيذ هذه السياسة وضربت عرض الحائط بكل قرارات الإدارة الدولية ورفضت الانضمام إلى أي اتفاقية دولية أو إقليمية بهذا الشأن. وبالفعل استمرت في إجراء تجاربها في تركستان؛ فانتشرت الأمراض المهلكة وأهمها السرطان وأمراض الكبد، وتم تلوث البيئة والمياه وفسدت المزروعات وأصيب الإنسان بالضمور والضعف والهزال المميت. وكانت آخر الجرائم التي جرت في هذا السياق ذات التفجير النووي الكبير الذي تم في 28 مايو عام 1990م، وأعلن الصين نفسها فيما بعد أن أكثر من (210.000) نسمة قد تضرروا أو ماتوا نتيجة تسرب الإشعاعات من هذه التجربة.

يقول البعض أن ثروات تركستان الشرقية كانت وبالًا عليها، ولكن متى كانت النعمة نقمة! إن المذنب هنا ليس هو غني تركستان بل هو الصين التي تستنزف هذه الثروات بصورة لا مثيل لها. فتركستان غنية بمواردها الطبيعية من المعادن كاليورانيوم على المستوى الزراعي، فهي غنية بمزارع القمح والذرة والأرز وسائر الحبوب الغذائية والزيتية، وهي تملك غابات شاسعة مليئة بالأخشاب، وثروة حيوانية ضخمة قوامها الجمال والبقر والماعز والأغنام الكيبك -وهو نوع من البقر والوحشي الذي روضه التركستانيون منذ القدم ويعيش في جبال بامير- أما خيولها فهي من أجود الخيول في العالم وتتكاثر بسرعة، وليس أدل على ذلك من أن حكومة (شين.شي.ساي) وهي حكومة إقليمية طلبت من أهالي ولاية (قاراشهر) في الثلاثينات إسهامًا لدعمها من أجل نصرة (شان كاي شك) في حربه ضد اليابان، فما كان منهم إلا أن قدموا له ستين ألف حصان كلها ذات لون واحد. وفضلًا عن هذه الثروة كلها فهناك جبال ومناجم الذهب. وهذه حدث عنها ولا حرج، ولكن الصين، فتحت هذه المنطقة للمشردين الصينيين منذ عام 1981م حيث يعين فيها فسادًا الآن أكثر من 300 ألف صيني من أصحاب السوابق والمجرمين، وهؤلاء يستخرجون الذهب وينهبونه بما يعادل ثلاثين (ينًا) لكل أوقية، حيث يتم تهريبه بعد ذلك إلى هونج كونج عن طريق كانتون.

والمفارق المدهشة هنا أنه برغم هذا الغنى الاقتصادي الذي تنعم به تركستان الشرقية إلا أن شعبها يعاني من الفقر المدقع. وهناك 80% من السكان يعيشون تحت خط العوز والحاجة لأن الصينيين يحتكرون كل فرص العمل والتجارة والصناعة والإنشاء والتعمير. أما زراعة الأرض والاستيلاء عليها فهو من صميم واجبات الحكومة ومن أهل علامات

ممارستها السلطة، بل إن المهن الحقيرة كسحب عربات الكارو ونزح البيارات وغيرها قد استولوا عليها ولم يتركوا لصاحب الأرض شيئًا على الإطلاق. نعم إن الصينيين يشغلون أكثر من تسعين في المائة من الأعمال الإدارية في المدن والقرى والهجر بل حتى في التجمعات الصغيرة في الوديان والمراعي وقمم الجبال، وهم يمارسون عنجهيتهم وتسلطهم على الناس ويقولون بملء الفم إنهم السادة وولاة الأمر وإن التركستانيين ليسوا أكثر من عبيد. وفي ظل هذه السياسة يعاني المواطنون الأصليون وأبناؤهم من البطالة حيث يعيشون بالملايين في ظل الفراغ والفقر بينما تجد الفئات الصينية المهاجرة العمل والمال والهوية والوظيفة منذ لحظة وصولها إلى البلاد.

الحقوق المدنية والتعليم

وتمتد هذه السياسة بعد ذلك إلى كل مرافق الحياة حتى أصبح الشعب الأصلي مجرد صفر على الشمال في وطنه، بينما يحظى المهاجرون الصينيون وحدهم بالأولوية في الحقوق المدنية من عمل وسكن وتوفير الخدمات العامة من ماء وكهرباء وتليفون وصرف صحي ورعاية طبية وتعليم على مستوى المدارس والكليات المهنية، بل إن لهم الأولوية في فتح المحلات التجارية والورش والمصانع والخدمات الفندقية والمطاعم والمستشفيات وسائر الخدمات العامة في الدوائر الحكومية، والحكومة الصينية لا تنكر هذا ولا تداريه بل تقول في تبجح إن هؤلاء المهاجرين قد جاءوا ليعيشوا. وتقول الأرقام إن نسبة الصينيين في المدارس والمعاهد والكليات تزيد على 85%.

أما أبناء البلاد الأصليين فلهم الجزء اليسير الباقين وهم محرومون تقريبًا من الدراسة في الجامعات، ويمتنع عليهم دخول كليات الحقوق والمعادن والإدارة والاقتصاد ولا يُسمح لأحد من أبناء تركستان بدخول هذه الجامعات إلا إذا كان الطالب وذووه من المقربين إلى السلطة والمؤتمنين وبشرط أن يكون الأب عضوًا في الحزب الشيوعي وله خدمات تُذكر فيه.

إن أبناء الشعب التركستاني محرومون من التعليم أو يكادون، فهناك 1500 طالب صيني من بين كل عشرة آلاف مواطن، بينما هناك سبعة طلبة فقط من كل عشرة آلاف تركستاني.

وكانت محصلة هذه السياسة هي تراجع تركستان الشرقية إلى ذيل دول آسيا، فبعـد أن كانت في عام 1951م في المرتبة الثانية، إذ بها بعد أربعين عامًا من الحكم الـشيوعي فـي الصين تتراجع إلى المرتبة الأخيرة.

وحتى الذين قُدر لهم أن يفلتوا من هذا التجهيل المتعمد ويحصلوا على شهادات عليـا - وهم قلة قليلة- فإنهم لم يجدوا عملًا قد، وانضموا إلى جيش العاطلين، حيث يعـيش هـؤلاء وهؤلاء عالة على ذويهم يتسكعون في الطرقات والشوارع وبين دور اللهو والسينما وسـط السفلة والمارقين، حيث يسقطون بسهولة ضحايا للإدمان والمسكرات والفساد.

مسخ ثقافي

واستكمالًا لطمس الشخصية وتجهيل الشعب وحرمانه من كل فرص العلـم والمعرفـة دأبت الحكومة الصينية على إفساد ثقافة ولغة الشعب التركستاني، ففرضت اللغـة الـصينية على الوطنيين منذ عام 1957م. وفي عام 1969م سمحت باستعمال الحروف اللاتينية جريًا على سياسة كمال أتاتورك في تركيا، وكانت هذه السياسة تهدف إبعاد الشعب عن لغة الضاد وحروف القرآن التي اعتاد عليها منذ ألف ومائتي عام، ومنذ انفتاح الصين على العالم منـذ سنة 1989م لاحظت الحكومة تلاحم الشعب التركستاني بكل فئاته مع أشقائه الأتراك بفعـل هذه الحروف اللاتينية، كما لاحظت أنه بدأ يتهلل من معارف الغرب عبـر تركيـا، وهنـا سارعت الحكومة إلى منع استعمال الحروف اللاتينية منعًا باتًا، وسـمحت بـالعودة إلـى الحروف العربية ولكن بشكل مغاير تمامًا للإملاء العربي حيث منعت استخدام ثمانية حروف هي: (ث-ج-ذ-ص-ض-ط-ظ-ع) وأبقت على عشرين حرفًا فقد على ألا يُستعمل حـرف الألف في أول الكلمة. وبهذا الإملاء الممسوخ تم فرض أبجدية مشوهة على الـشعب حتـى استحال على الأب أن يفهم ابنه أو على الابن أن يفهم عن أبيه.

ويمتد هذا المسخ والتجهيل الثقافي إلى كل النشاطات الثقافيـة التـي تتعلـق بالـشعب التركستاني المسلم ولغته وتاريخه. فقد أنشئت -مثلًا- سبعة من دور النشر في سائر ولايات تركستان منذ عام 1989م، ولكنها ظهرت ممـسوخة لأن الكتـب والنـشرات والمجـلات والجرائد التي تصدرها تنطق كلها باسم سياسة الصين وحكامها. والمـسئولون عـن هـذه المجلات ومحرروها جميعًا من أصل صيني، ولهذا فهم يعطون لأنفسهم الحق في نـشر أو

حذف ما يشاءون، ناهيك عن أن كل ما ينشر لا بد أن يكون مصبوغًا بالـصبغة الـشيوعية التي تبدأ وتنتهي بتعاليم ما ومبادئ ونظريات لينين وستالين وإنجلز وماركس اليهودي.

وقد امتد هذا التزييف الثقافي إلى حد تاريخ البلاد ونشر عـشرات المؤلفـات بـاللغتين التركستانية والصينية وكلها حافلة بالافتراء والكذب والتضليل. ويكفي لكي نعلـم تـأثيرهم المدمر في هذا الميدان أن نعرف أن 70% على الأقل من الكوادر التحريرية فـضلًا عـن طبقة المديرين هم من الصينيين الذين يعرفون لغتنا بعد أن درسوها.

وعلى أن هذه المحاولات كلها لم تمنع من علماء وكُتاب ومفكري تركستان من إخـراج عشرات الكتب القيمة في العلم والأدب والتاريخ والثقافة والدين. وقد ظهر من الأعلام فـي هذا الميدان (تورغون آلماس) و(عبد الرحيم أوتكور) و(إبراهيم مطيعي)، وقـد اسـتطاعوا بفضل ثقافتهم العالية أن يمرروا مؤلفاتهم على الرقيب الصيني وطبعوها بمئات الألوف، ثـم قام الشعب نفسه بطبعها بعد ذلك وتوزيعها على الجميع، وحينما اكتشف الصينيون محتويات هذه الكتب سارعوا إلى مصادرتها وجمعها من الأسواق وشـراء بعـضها بأثمـان تفـوق أضعاف ثمنها الأصلي من أجل حرقها. ولكن هذه الكتب قد نشرت وخرجت إلى الدنيا كلها وتُرجمت إلى اللغات الحية ومنها العربية والإنجليزية والروسية والتركية وأصبحت معروفة في المحافل الدولية. وأمام هذا المأزق الثقافي الذي وجدت فيه حكومة الـصين الـشيوعية نفسها، لم تجد بدا من القبض على مؤلفي هذه الكتب ومحاكمتهم. وقـد صـمد (تورغـون آلماس) و(عبد الرحيم أوتكور) للمحاكمات الجائرة، بينما استشهد الـشاعر الفحـل (تـردي سامساق) صاحب الملاحم الشعرية الإسلامية التي تمجد الإسلام في تركستان الشرقية.

المقاومة التركستانية

إن كل هذه الإجراءات الوحشية لا هدف لهـا إلا مـسخ تـاريخ وشخـصية الـشعب التركستاني المسلم وتذويبه في بوتقة الصين فيما يُسمى بخطة (تصيين) المنطقـة. فهـم لا يعترفون بشيء اسمه تركستان الشرقية، بل يقولون إن هناك منطقة صينية اسمها (سنكيانج) يسكنها بعض المسلمين. ولكن الحقيقة والتاريخ يقفان في شموخ ضد هذه الأكاذيـب كلهـا، فنحن مسلمون وسنظل كذلك إن شاء الله. الحكومة الصينية تعلم أن إسلام هذا الـشعب هـو العقبة الأولى ضد جميع المخططات التي يصنعونها من أجل تذويبه ونفيه عن ذاته، ولهـذا فهم يحاولون محو الدين وتهديم المساجد والمدارس والمعاهد الإسـلامية وحـرق القـرآن

والكتب الدينية وإهانة العلماء والزج بهم في السجون والمعتقلات وقتل المئات منهم وإجبـار النساء المسلمات على تربية الخنازير والعمل في الشوارع في المهن الحقيرة وهم حاسـرات الرؤوس والوجوه، ولكن تمسك الشعب بدينه أفشل هذه الإجراءات كلها التي لم تزد النـاس إلى تمسكًا بإسلامهم، ولهذا لجأت الحكومة إلى خطة أخرى إذا راحـت منـذ الخمـسينيات تنشئ جمعيات إسلامية وسخرت للعمل فيها بعض علماء الدين الـذين تربـوا فـي كنـف الشيوعية. وقد رسمت لهم الحكومة خطة لمعاملة المسلمين، حيث اختـاروا مـن الإسـلام بعض النظم والقواعد التي راحوا يحرفونها لكي تخدم أغراضهم. فهم يلقنون الناس دروسًـا تحض على احترام الحاكم لأن الإسلام يأمر بطاعة ولاة الأمر. ويقولون إن الإسلام هو دين الكفاف والقناعة وأنه يذم الذهب والفضة، أما الأحكام فهـم يحرفونهـا ويؤولـون الآيـات القرآنية الكريمة والأحاديث النبوية الشريفة بما يحقق أهدافهم .. ولكن هل نجحوا في هذا؟.

شعب حي

إن ما يحدث للشعب التركستاني المسلم على يد المستعمر الصيني الغاشم قد يدعو إلـى اليأس والقنوط، ولكن هذا الشعب الأبي لم يستسلم يومًا، فقد توالت انتفاضاته ضـد الـسلطة القاهرة وكتب أبناؤه بدمائهم صفحات من نور في تاريخ الجهاد.

وفي الفترة بين 1980 و1989م قام الشعب التركستاني بعدة انتفاضات كـان بعـضها دمويا، واشتركت فيها جميع فئات الشعب من الطلبـة والتجـار والمـزارعين والحـرفيين والمثقفين وعلماء الدين. وقد شهدت الفترة نفسها إحدى عشرة انتفاضة قـام بهـا الطلبـة، وانتشر نبأ هذه التحركات كلها إلى داخل الصين نفسها؛ فقام الطلبة التركستانيون في بكـين العاصمة وشنغهاي بمظاهرات مماثلة رفعوا فيها شعارات تطالب بـسقوط الـشيوعية فـي الصين والحرية لشعب تركستان.

وفيما بين عامي 1989 و1991م قام هذا الشعب الأبي بثورات دموية في عـدة مـدن، وتصاعدت حدة هذه الثورات إلى حد الانفجار الشعبي المطالب بالاستقلال والحرية ولم تجد الحكومة بدا من إخماد هذه الثورات بالحديد والنار، وقد راح ضحيتها عشرة آلاف شاب من خير شباب تركستان.

أما الثورة الكبرى فقد وقعت في منطقة (بارن) المتاخمة لقازاقستان في عـام 1990م، وقد كانت مذبحة بحق راح ضحيتها أكثر من مائتي ألف شخص من خيرة شـباب الـوطن.

لقد استمرت هذه المعركة شهرًا، وأقامت الحكومة خلالها جسرًا جويا بين بارن وبكين لمسافة خمسة آلاف كيلو متر، وتم تدمير المنطقة تدميرًا كاملًا ولم يتركوها إلا وقد أصبحت قاعًا صفصفًا، وما زال هناك خمسون ألف جندي صيني يربطون على التلال حتى الآن.

وقد كانت محصلة هذا القهر الصيني مزيدًا من الإيمان بعدالة قضية تركستان الشرقية، ولكنه تمخض من جانب الصين عن مزيد من الاعتقالات لمئات الألوف من الشباب والشيوخ والزج بهم في غياهب النسيان خلف الجدران الصماء.

إن في تركستان الشرقية وحدها مائة وتسعين سجنًا ومعتقلا للأعمال الشاقة، وخلف جدران هذه السجون والمعتقلات هناك أكثر من ثمانين ألف تركستاني يعيشون تحت السياط في ظل ظروف غير إنسانية، والمؤلم أن أغلب هؤلاء السجناء والمعتقلين هم من المناضلين الشرفاء من المثقفين والسياسيين ورجال الدين وطلبة العلم الإسلامي من الذكور والإناث. فأين العالم الحر من هذا كله، وأين الضمير الإنساني، وأين المنظمات الدولية وحقوق الإنسان، بل أين الأمة الإسلامية نفسها مما يحدث لإخوة لهم في الدين في تركستان الشرقية؟.

المستقبل .. كيف هو؟

والآن .. هذه هي صورة المعاناة التي يقاسيها شعب تركستان المسلم في ظل الاستعمار الصيني الشيوعي البشع لبلاده .. فكيف تبدو صورة المستقبل لهذا الشعب؟ هل من أمل في الحرية والاستقلال، أم هي الاستكانة والسكوت والموت؟

هناك رأيان حول مستقبل تركستان الشرقية:

الرأي الأول: يقول إن الصين دولة عظمى، وإنها تكاد تكون القوة الثانية في عالم اليوم بعد سقوط وانهيار الاتحاد السوفييتي. وهذه الدولة القارة تملك القوة النووية والهيدروجينية والتكنولوجيا المتقدمة. ثم إنها تحتوي على ربع سكان العالم، وهذه المئات من الملايين تعمل بدأب وإصرار، وأن هيمنة الصين على تركستان الشرقية استمرت لعقود طويلة .. ومحصلة هذا الرأي هو أن المنطقة أصبحت جزءًا من الصين وأنه يستحيل عليها الاستقلال.

الرأي الثاني: يقول إن عالم اليوم عالم غير مستقر، وأنه ليس هناك حقائق دائمة أو نظريات ثابتة، وإلا من كاد يصدق أن الاتحاد السوفييتي بكل قوته وجبروته وترامي أطرافه

يمكن أن ينهار هكذا في لحظات. إن عالم اليوم مقبل على تطور نوعي على كل المستويات. وهذا التطور سوف يلحق الصين بالضرورة فهي مؤهلة للتغيير أيضا وربما أكثر من الآخرين. إن في الصين قوميات متعددة وديانات شتى، ومجموعات عرقية لا حصر لها. والصين الشيوعية حين انفتحت على العالم عام 1988م كانت تستهدف الإصلاحي السياسي والاقتصادي والاجتماعي معًا، وهذا المثلث الإصلاحي يمضي ببطء وحذر شديدين وخصوصًا على المستوى السياسي. وهذا التطور ينسحب على الفرد إذ يشعر بقدرته على المشاركة وبرغبته فيها، وبعد فترة من الزمن طالت أو قصرت لابد أن تجد لجموع نفسها وهي تطالب بالتفاعل مع السلطة بشكل جماعي، فإذا لم تستجب الدولة لأشواق الناس وأمانيهم فإن الانفجار الشعبي لا بد أن يحدث، وهو إذا حدث لا يمكن السيطرة عليه بحكم ترامي هذه الدولة واتساع حدودها. ومن نافلة القول هنا أن المجموعات القومية والعرقية في الصين تتابع هذا التغير وتترقبه عن كثب. وفي مقدمة هذه الكتل تركستان الشرقية، والتبت ومنغوليا، والتونكان من المسلمين الصينيين. وهذه المجموعات وغيرها لابد أن تتحرر يومًا في ظل التطور الحادث والمستقبل الذي ينذر بالتغيير .. ومعنى هذا أن تركستان لابد أن تسعى نحو استقلالها وحريتها حفاظًا على ذاتها وقوميتها ودينها .. وثمة إجماع شعبي على أن شعب تركستان الذي قدم الضحايا بمئات الألوف لن يقبل عن حريته بديلًا.

ولهذا .. ومن أجل تأمين استقلال هذا الشعب المسلم فإنه يجب على الأمة الإسلامية والعربية والدول المحبة للسلام أن تساعد شعب تركستان على تحقيق مطالبه التالية:

أولًا: وقف التهجير الصيني إلى تركستان الشرقية.

ثانيًا: وقف سياسة تحديد النسل بالقوة ومنع الأعمال الوحشية في حق الأمهات الحوامل ببقر بطونهن وإجهاضهن قسرًا.

ثالثًا: وقف جميع التجارب النووي الصينية في تركستان الشرقية وسحب مفاعلها الذري من هناك وإزالة الآثار المترتبة على ذلك.

رابعًا: التوصية لحكومة الصين بتنفيذ ما أعلنته من أن (سنكيانج الأويغورية ذاتية الحكم) على أن تعلن نظام هذا الحكم على الملأ وتنفذ ما في فقراته بدقة، وإجراء استفتاء

عام في البلاد وتولي الكوادر الوطنية إدارة الدوائر الحكومية وتمكين الـشعب مـن تقريـر مصيره مستقبلًا.

خامسًا: أن يمتلك الشعب جزءًا من ثرواته المعدنية ومحاصلاته الطبيعية ليوظفهـا فـي تطوير وتعمير بلاده من أجل غد أفضل له وللأجيال القادمة.

سادسًا: التوصية لحكومة الصين بأن تراغي حالة السكان الأصليين العاطلين عن العمل بتوظيفهم في المصانع وإعطاء الأولوية لهم في خدمات الدوائر الحكومية.

سابعًا: إفساح المجال أمام شباب وشابات تركستان في جميع مراحل التعليم من البدايـة إلى النهاية.

ثامنًا: أن تراعي الحكومة مشاعر المسلمين وتفسح المجال للتربية الدينية حسب الشريعة الإسلامية، وتمكنهم من ممارسة حياتهم الاجتماعية وفق الحضارة الإسلامية وحق الجميـع في حرية الأديان. وأن ترفع سياسة التصيين تمامًا.

أما على مستوى الشعب التركستاني نفسه فإنه مطالب بالآتي:

أولًا: من أجل تحرير تركستان الشرقية فإنه يجب عرض قضية هذا الـشعب عرضًـا شاملًا على العالم كله ، وذلك يتأتى بأن تُقوي مجلاته وجرائده ونشراته الإعلامية، ثم يجـب أن يملك الشعب وسائل البث الجماهيرية من إذاعة وتليفزيون، مع ضرورة إجراء الدراسات والبحوث العلمية وإصدار الكتب والنشرات باللغات الحية.

ثانيًا: يجب علينا أن نمد أيدينا إلى إخواننا في الداخل والخارج لكل فئة أو مجموعـة أو حزب أو جمعية تعمل من أجل الخلاص من ربقة الصين والشيوعية مثـل حركـة التبـت الاستقلالية، ومنغوليا الداخلية، ومجموعة الصين الديمقراطية في الـداخل والخـارج ممـن يعترفوا بحقنا في الحرية والاستقلال.

ثالثًا: أن نتبادل الآراء مع إخواننا وأشقائنا في الجمهوريات الإسلامية الخمس في آسـيا الوسطى ومع جمهورية تركيا وسائر شعوب الترك لجلب ودهم والحصول على مـساعدتهم في هذه المحنة.

رابعًا: أن نعمل على مد جسور من الأخوة والترابط مع سائر الدول الإسلامية وإبلاغها بسياسة الصين الشيوعية تجاه تركستان الشرقية، بكل ما تحفل به من ظلم واستبداد وتهجير إلى أرضنا الإسلامية، مع طلب مساعدتها لنا للوقوف إلى جنبنا في السراء والضراء.

خامسًا: أن نتفق مع الشعوب والأجناس المغلوبة على أمرها ممن وقعوا تحت التهديـد الصيني من حكومات وأفراد لرفع الظلم عنا وعنهم.

سادسًا: أن نقيم علاقات من الود والحوار مع الدول والشعوب الحـرة المحبـة للـسلام والديمقراطية وإلى الجمعيات السياسية من خلال المراسلات والكتب والنشرات حتى يعرف العالم كله عدالة قضيتنا.

سابعًا: لابد أن ننشئ بعون من الله، ثم بمساعدة إخواننا الغيورين على وطـنهم وديـنهم وبدعم من الدول والشعوب والأفراد والجمعيات صندوقًا قوميا لـصالح قـضية تركـستان الشرقية.

وبعد .. فهذه هي قضية تركستان الشرقية. إنها قضية شعب مسلم وقع بين فكي التنـين الصيني الذي راح يلتهمه ببطء وعلى مهل، ولكنه لم يستطع أن يهضمه حتى الآن، لأن هذا الشعب المتمسك بقوميته ودينه وتراثه يستعصي على الهضم والـذوبان والانـدثار. ولكـن القضية بعد هذا تبقى قضية مجهولة أو تكاد لدى مئات الملايين من المسلمين على مـساحة الأمة كلها، مع أنها واحدة من أعدل قضايا البشر في القرن العشرين. والمطلوب أن تطفـوا هذه القضية إلى السطح، وأن تصبح إحدى قضايا الحريـة والعـدل والاسـتقلال وتقريـر المصير على مستوى العالم كله. يجب أن تُطرح قضية تركستان الشرقية بقوة على مـؤتمر الأقليات الإسلامية القادم إن شاء الله، لتتحول من مشكلة محـدودة داخـل الـصين ووراء سورها الحديدي، إلى قضية حية في عقل وقلب وضمير كل مسلم على مستوى الأمة كلها.

جريدة (المسلمون)

9 إبريل 1993م

18 شوال 1413هـ